انتشار السحرة والمنجمين

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

من الآفات التي أصيبت بها غالبية المجتمعات الإسلامية انتشار السحرة والمشعوذين والكهنة والعرافين والمنجمين. هؤلاء بأنواعهم المتنوعة وتخصصاتهم المزعومة يحكمون على عقول الساذجين والبلهاء والنساء، بل على عقول كثير من المتنورين والمثقفين. وأصبح عمل السحر والشعوذة مكسبا كبيرا وتجارة رابحة، شأنه شأن البضائع التجارية، ينفق الملايين في الإعلان والإشهار في الصحف والجرائد ووسائل الإعلام العامة والخاصة بجمل وعبارات لافتة للانتباه، مدعية حل كل أنواع المشاكل والقضايا مهما كانت عسيرة ومعوجة، مثل الركود التجاري، والفشل العلمي، وقضايا الحب والعشق، وقضايا الجنس، والأمراض الباطنية، وما إلى ذلك.

ثم إن هؤلاء السحرة ومدعي معرفة الغيب ومعرفة الأمور الخفية يفتحون لهم مكاتب ومراكز وعيادات، بعضها تكون مركزية، وبعضها فرعية، لكسب أكبر عدد ممكن من المراجعين، شأنها شأن المستشفيات والعيادات الطبية لكبار الأطباء، بل تفوق العيادات الروحانية العيادات الطبية عَددا وعُددا، وتتنوع أساليبها ووسائلها لاستقطاب أنظار الراغبين والمفتونين.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل كان يمكن لهؤلاء الكهنة والمنجمين ذاك الانتشار والنجاح إلا بتجاوب المجتمع معهم وخضوعه لهم وولوعه بهم؟ إن المعادلة بين العرض والطلب معتبرة، ولا يعرض في السوق إلا ما له طلب، وما كان غير مطلوب وغير مرغوب فيه ينعدم شيئا فشيئا من السوق، ويحل محله

غيره. ولا يخفى أن معدل التعليم والثقافة في المجتمعات الإسلامية على مستوى العالم – إلا ما شاء الله – منخفض إلى حد كبير، ويغلب عليها الجهل والسذاجة والتخلف، والجري وراء الأوهام والأساطير، والجمود على الرواسب الاجتماعية، والتزمت بالأفكار والعقائد الخرافية. فاستجابة أمثال هؤلاء للمشعوذين ووقوعهم في حبائلهم غير مستغرب قطعا، بل المستغرب أن فئة كبيرة من المثقفين والمتنورين تقع – أيضا – أسيرة الدجالين والعرافين، وتسلم لهم، وتسير خلفهم، وتطلب ودهم وعنايتهم ودعاءهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولا يسلم من شبكاتهم وحبائلهم إلا قلة قليلة من الملتزمين من أهل البصيرة والثبات على الدين.

والعجب كل العجب أن المعجبين بالمشعوذين لا يعيرون أي أهمية للإسلام والكفر في هذا الشأن، بل يستسلمون لكل منجم وساحر، غير مكترثين بالمسلم منهم والكافر، أو الملتزم المتدين والفاسق الزنديق. ومن الملاحظ أيضا أن المولعين بهم يراجعونهم في كل صغيرة وكبيرة، حتى في الأمراض العضوية والأعمال العامة. فترى منهم من إذا أصيب بصداع لفترة غير قصيرة ظنه من السحر فيلجأ إلى الساحر، لعلاجه والخلاص منه. وإذا لحقه ضرر أو خسارة في التجارة هرع إلى الكهان والمشعوذين، وكذلك لمعرفة الأشياء المفقودة أو المسروقة، ولتعويذ الأطفال من العين ومس الجن، ولعلاج العقم، وللحصول على وظيفة، ولإدامة المحبة بينه وبين من يرغب فيه من الزوج أو الزوجة أو العشيق أو العشيقة، أو غيرهم، وللتفريق بين متحابين، ولجمع المتفرقين، ولوقاية نفسه وأهله من المنامات المخيفة، ومن خفقان القلب ودوران الرأس، إلى ما لا حد له من المضحكات المبكيات.

وإذا استثنينا الصالحين والمخلصين من الرقاة وأصحاب القراءة – وقليل ما هم – يبقى الكثرة الكاثرة من الدجاجلة والمشعوذين والسحرة والمنجمين من المنتسبين إلى الإسلام في الأغلب، وإلى غيره من الديانات في الساحة، وهؤلاء يدّعون الصلاح

والالتزام ويظهرون أنفسهم بمظهر الزهاد والأتقياء، ومنهم من يشتهر بالولي أو بالشيخ الفاني في الله، وقد لا يصلي، وقد يرتكب المعاصي والكبائر، والقصد من إبرازهم أنفسهم بمظهر الصلحاء والزهاد إقناع الناس بأنهم لا يصلون إلى هذا العلم وإلى هذه الأخبار الغيبية عن طريق الجن أو الشياطين، بل يصلون إلى ذلك لتقربهم إلى الله، فملائكته تخبرهم بذلك وتساعدهم عليه. والحقيقة التي لا محيد للإنكار عنها هي أن هؤلاء المشعوذين والكهان لا يصلون إلى ما يرغبون فيه إلا باستخدام الجن والتقرب إليهم التقربات الشركية، مثل الذبح لغير الله، والاستغاثة به، والكفر بالله، وإهانة المصحف، وسب الله جل وعلا، وكتابة الآيات والسور بالأشياء النجسة، وقراءة الفاتحة وغيرها من السور قراءة معكوسة، ففي حالة استجابة السحرة لمتطلبات الجن يحصلون بغيتهم من معرفة بعض الأمور الغيبية.

إن الكثرة الكاثرة من المسلمين لم يتم توعيتهم بالوعي الديني السليم، ولم تمتلئ قلوبهم بمحبة الله العلي القدير وبجلاله وعظيم سلطانه وكمال قدرته، بل وبالعكس من ذلك تتكرر على أسماعهم قصص وخوارق لمن يسمون "أولياء الله" وأحباؤه، والذين يطيرون في الهواء، ويمشون على الماء، ويتصرفون في الكون، ويجلبون الخير، ويدفعون الضر، ويشفون المرضى، ويغيثون في الشدائد ... الخ فماذا يبقى بعد ذلك لله الواحد الصمد حتى يُضطر إليه، ويُدعى ويستغاث.

إن الملاحظ في مرتادي "العيادات الروحية" والواقفين على عتبات الكهنة والعرافين أن فيهم مسلمين وغير المسلمين من الهندوس عبدة آلاف من الأوثان من الأشجار والأحجار والأنهار والأبقار، والشمس والقمر والنجوم، فنجد هؤلاء المشركين الضالين وأولئك المسلمين الموحدين في صف واحد. كل ينظر إلى ذلك الساحر أو العراف – الذي قد يكون مسلما وقد يكون مشركا – بنظر الإعجاب والتقدير، وباعتباره كاشف الضر وفارج الهم، ودافع البلاء، يتودد إليه بالنقود

والهدايا، ويستجيب لكافة متطلباته حتى الشرك والكفر بالله. ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولا غرابة في ارتكاب عباد الأوثان بكل هذه الأعمال الكفرية والشركية، فهم يعبدون آلاف الأصنام، فازدياد صنم واحد فيها أمر عادي لديهم. وإنما الغريب كل الغرابة أن المسلم الموحد يقع فيما وقع فيه هذا المشرك من غير مبالاة بذلك الخط الأحمر بين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان.

إن التوحيد والإيمان أغلى ما يملكه المسلم في هذه الحياة، والمسلم الصادق يغار على هذه الثروة أكثر من كل ثروات الدنيا، بل يضحي بنفسه في سبيله ولكن لا يقبل أي مساومة فيه وأي تنازل عنه. إنه يعتقد اعتقادا جازما بأن الله أكبر من كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، إنه يردد في كتاب الله قوله جل في علاه:

{وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ}(يونس: ١٠٧)

وقوله جل اسمه: {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله} (النمل: ٦٢)

وقوله سبحانه: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} (النساء: ١١٦)

وقوله سبحانه: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} (البقرة: ١٠٢)

وقوله جل وعلا: {وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طه: ٦٩) إلى غير ذلك من الآيات.

كما أن هذا المسلم الصادق يستمع إلى الأحاديث النبوية التالية:

عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة". (صحيح مسلم: ٢٢٣٠)

وعن أبي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد". (سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارمي، ومسند أحمد، وصححه الألباني)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له". (صحيح الترغيب والترهيب)

فالمسألة تمس جوهر العقيدة، والمسألة مسألة الكفر والإيمان، ومسألة الدخول في ملة محمد صلى الله عليه وسلم والخروج منها، فكيف يحلو لمسلم أن يتساهل في هذا الأمر وأن يتلاعب بدينه وعقيدته، حتى إنه بمنظار العقل السليم كيف يطيب لعاقل أن يستسلم لهذا الجاهل الذي يخبره عن مستقبله بالنظر في خطوط يده وبصمات أصابعه، وهو لا يملك لنفسه جلب خير أو دفع مضرة. فراح يتسول الناس على أرصفة الشوارع والمحطات، وجعل ينسخ عقول الناس بقوة جهله وشدة حيلته.

إن ولوع الناس بهؤلاء الدجاجلة وأكلة أموال الناس بالباطل يدعو إلى القلق والتأمل، ويتطلب التفات الدعاة والمصلحين المخلصين. إن هذا الداء المستشري في جسد المجتمع المسلم إذا لم يتم استئصاله فهو ينذر بشر مستطير قد يصعب الخلاص منه أو القضاء عليه. فالواجب على حملة العلم والدعوة والعقيدة بذل ما في وسعهم من الوقت والجهد لتوعية الناس بخطورة الأمر على الدين والعقيدة، ولغرس التوحيد والإيمان الراسخين في قلوبهم بعد تصفيتها من ولوع المشعوذين ومدعي الكرامة والولاية من الخادعين المخدوعين. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى.

***